

مغالبة الهوى، «أشجع الناس من غلب هواه»

السنة العشرون
العدد ١٠٠٤ - ٢ / شوال ١٤٣٣ هـ
الموافق ٢١/أب/٢٠١٢ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- ١- التعريف باتِّباع الهوى.
- ٢- رغبات النفس لا تنتهي فيجب الحد من غلوها.
- ٣- اقطع الطريق من البداية.
- ٤- التحذير من اتِّباع الهوى.

الهدف:

الإلفات الى وجود حاجات لدى الإنسان لا تنكر.

تصدير الموضوع:

عن رسول الله ﷺ: «أشجع الناس من غلب هواه».

اتِّباع الهوى

لا شك أن للنفس الإنسانية رغبات وغرائز ومتطلبات وحاجات وميولاً مختلفة، فالإنسان -مثلاً- يحتاج إلى الارتباط بزوج ليلبي حاجته الشهوانية بالإضافة إلى حاجته للأولاد، ويحتاج إلى المال ليحفظ به نفسه وعياله ويطور حياته، ويجب أن يكون محترماً بين الناس عزيزاً، وأن يكون حراً.

هذه بعض الحاجات والغرائز الموجودة في الإنسان، وجميعها ضروري لإدامة حياته، ولا شك أن مبدع الوجود خلقها جميعاً لهدف تكاملي.

والهدف التكاملي يتحقق بأن لا تتجاوز الغرائز والحاجات حدّها،

كثير من آيات القرآن، منها، قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ

والروايات في ذمه كثيرة منها، عن الإمام علي عليه السلام: «و الشقي من انخدع لهواه وغروره.... و مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان، ومحضرة للشيطان...»^(١)

«عباد الله: لا تركنوا إلى جهالتكم، و لا تنقادوا لأهوائكم، فإن النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع...»^(٢)

رغبات النفس لا تنتهي

يقول الإمام الخميني قدس سره: «إعلم أيها العزيز، أن رغبات النفس وآمالها لا تنتهي ولا تصل إلى حد أو غاية. فإذا اتبعها الإنسان ولو بخطوة واحدة، فسوف يضطر إلى أن يتبع تلك الخطوة خطوات، وإذا رضي بهوى واحد من أهوائها، أجبر على الرضى بالكثير منها.

وتخرج عن التوازن والحدّ الوسط إلى الإفراط أو التفریط، وذلك بالتمرد على الشرع والعقل، وبذلك تكون سائرة مع الهوى المذموم وتابعة له. فالحاجة الشهوانية إذا خرجت عن التوازن إلى التفریط بأن لا يتزوج، أو إلى الإفراط بأن يلبي حاجته هذه بأي شيء دون رقيب أو حسيب من دين أو عقل، بأن يزني مثلاً -والعياذ بالله- فهذا وذاك إتباع للهوى. والحاجة إلى جمع المال إذا أبطلها الإنسان وزهد فيها زهداً سلبياً، أو انكب على الجمع من أي طريق وبأي وسيلة ولو كانت من حرام كالسرقة والغصب والاحتيال والربا، فهذا وذاك من اتِّباع الهوى. وحب الاحترام والعزة بين الناس إذا أعدمه الإنسان وأذل نفسه، أو إذا طلب الجاه بطرق منحرفة، فكل الحالتين من اتِّباع الهوى. وحب الحرية إذا أبطله الإنسان وأصبح يألف العبودية للاستعمار مثلاً، أو أرخى لنفسه العنان دون ضابط، فكلهما من اتِّباع الهوى.

وهكذا كل حاجات الإنسان إذا خرجت عن الاعتدال فهي تتبع الهوى، والهوى يصدّ عن الحق كما قال الإمام عليه السلام، وقد حدّرنا الله تعالى من اتِّباع الهوى في

إليه يصعد الكلم الطيب

ولئن فتحت باباً واحداً لهوى نفسك، فإن عليك أن تفتح أبواباً عديدة له.

إنك بمتابعتك هوى واحداً من أهواء النفس توقعها في عدد من المفساد، ومن ثم سوف تُبتلى بآلاف المهالك، حتى تنغلق - لا سمح الله - جميع طرق الحق بوجهك في آخر لحظات حياتك، كما أخبر الله بذلك في نص كتابه الكريم، وكان هذا هو أخشى ما يخشاه أمير المؤمنين وولي الأمر، والمولى، والمرشد والكفيل للهداية والموجه للعائلة البشرية ﷺ^(١).

إقطع الطريق من البداية

وهذا يعني أن على الإنسان أن يقطع الطريق على الهوى من بداية الطريق حتى لا يسقط في الهاوية السحيقة؛ لأن الإنسان في البدايات هو أقدر على السيطرة على الأمور من المراحل المتقدمة فضلاً عن النهايات. ونعطيك لذلك أمثلة:

١- إن قطع الطريق على الشهوة المحرمة ينبغي أن يكون من أول الطريق فلا ينبغي للإنسان أن يتبع هواه في أن ينظر النظر المحرم سواء النظر المباشر أو عبر الإعلام، أو يختلي بامرأة لا تحل له، أو يمازح امرأة لا يجوز له ممازحتها، أو يختلط

مع النساء بشكل لا ضابط فيه، فإن كل ذلك مقدمات إن لم يقطعها الإنسان من أول الطريق يخشى عليه أن يقع في الهاوية السحيقة.

٢- وهذا مثال طبعاً لا يقع في المجتمع المؤمن ولكن نأخذه كمثال، فالذي كان يشعر بالنشوة بمقدار معين من المخدرات، لا يكفيه نفس المقدار في اليوم التالي لبلوغ نفس درجة النشوة، بل عليه زيادة الكمية بالتدريج، فهذا الذي سقط في هاوية المخدرات كان يستطيع من أول الطريق أن لا يبدأ في هذه الموبقة ولكن سقوطه الأول أراده في الهاوية تلو الهاوية.

٣- الشخص الذي كان يكفيه في السابق شقة أو سيارة بمواصفات عادية، يصبح إحساسه بهذه الشقة عادياً، فينشد الزيادة، والخشية أن يطلب الزيادة عن طريق الحرام. وهكذا في جميع مصاديق الهوى والشهوة حيث إنها دائماً تشد الزيادة حتى تهلك الإنسان نفسه.

فإن هوى النفس كنار جهنم يقول هل من مزيد، وعليك أن تقطع عليه المزيد بقناعتك بجلال الغرائز وال미ول والاحتياجات. وقد حذر الإمام علي ﷺ من أول الهوى وبداياته: «إياكم وتمكن الهوى

منكم، فإن أوله فتنة وآخره محنة» وعنه ﷺ: «أول الشهوة طرب، وآخرها عطب» وعنه ﷺ: «إياكم وغلبة الشهوات على قلوبكم، فإن بدايتها ملكة، ونهايتها هلكة» وعنه ﷺ: «كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً».

ضرورة الحذر

فعلى الإنسان المؤمن أن يحذر الهوى كما يحذر أعداءه فعن الإمام الصادق ﷺ: «إحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم، وحصائد أُنسنتهم». مرَّ رسول الله ﷺ يقوم يتشايلون حجراً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نخبر أشدنا وأقوانا، فقال ﷺ: ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرج سخطه من قول الحق، وإذا ملك لم يتعاط ما ليس له بحق»^(٢).

فإذا كنا نريد الجنة فعلياً بنهي النفس عن الهوى، يقول سبحانه: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ».

اللهم أعنا على غلبة أهوائنا فبذلك نرضيك ونكون مستعدين لغلبة أعدائك أعداء الإنسانية.

